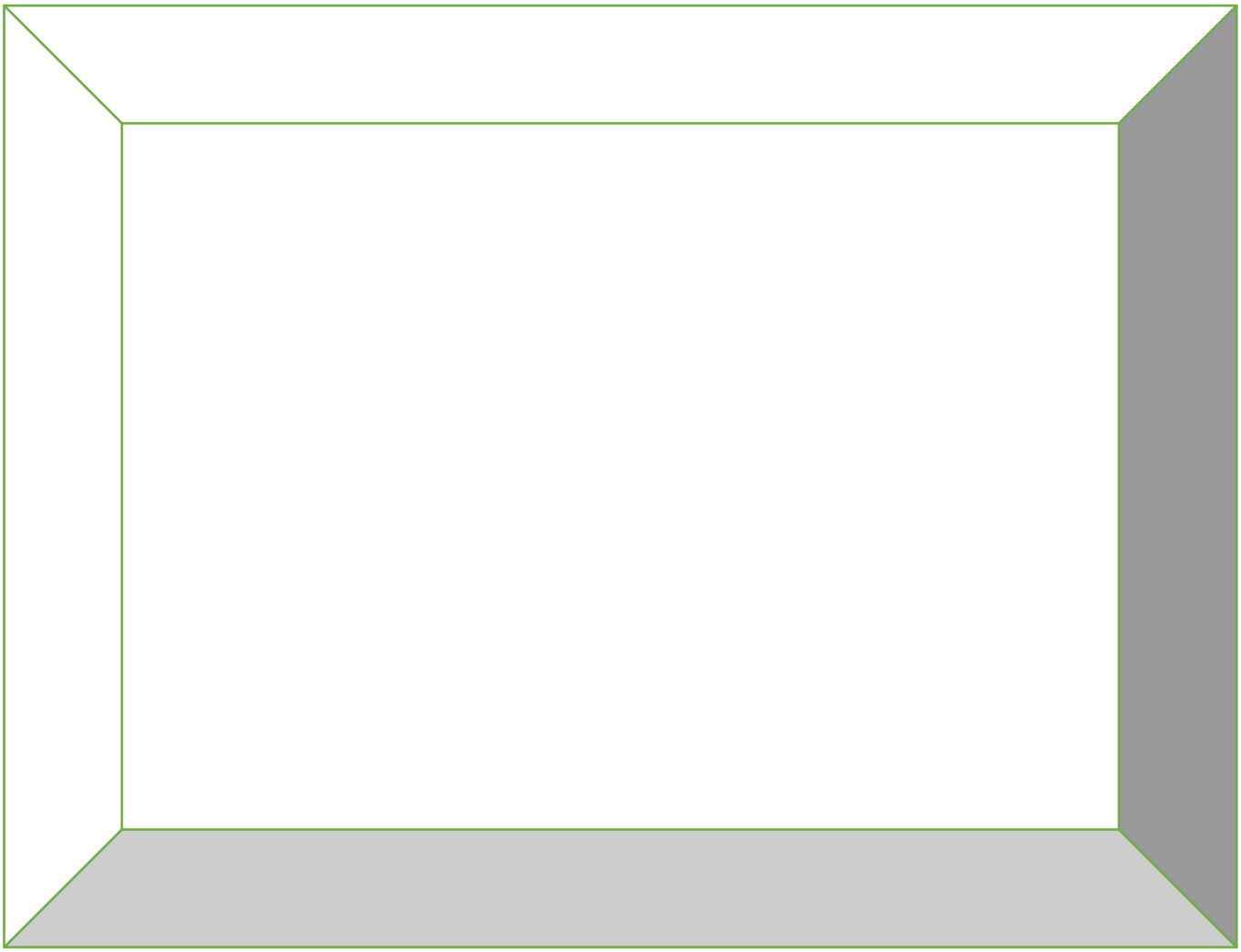

تمهيد

تهدف هذه الدراسة بأن هذه ظاهرة الكتابات الحائطية لممارسة اجتماعية من قبل شرائح شبابية، تتجسد في رسومات واختصار لكلمات وعبارات يسعى من خلالها البعض الى التصريح برأيه وموقفه والبعض الاخر يخفي بها رغبته في التنفيس عن مشاكله ونبذه للواقع المعيش، وتساير الظواهر الاجتماعية الكثير من التغيرات التي تطرأ على المجتمع، سواء كانت هذه التغيرات ثقافية أو اجتماعية أو سياسية أو غيرها، وتبقى بعض هذه الظواهر ممتدة ولها جذور تاريخية تعود للعصور الأولى من حياة البشرية، وأحسن مثال على ذلك، ظاهرة الكتابات الحائطية المتأصلة في عمق التاريخ، حيث اعتمد عليها الإنسان البدائي في ممارساته اليومية، لتوصيل رسائل لبني جنسه، والتخاطب معهم من خلال رموز لغوية وضعها بنفسه، ومع تطور البشرية وابتعادها عن اللغة التصويرية والرمزية البسيطة، واعتمادها على لغة التخاطب الشفهية، إلا أن هذه الظاهرة مازالت مستفحلة في مجتمعاتنا الحالية، سواء كانت متقدمة أو سائرة نحو التقدم، ولكن بنمط وإطار مختلف عن ما كانت عليه، فالكتابات الحائطية أو ما يعرف بالغرافيتي، بات اليوم جدل بين الكثير من الباحثين والمختصين حول عوامله، ومن هم ممارسيه، و كيفية التعامل معهم، وطرق الوقاية من عشوائيته.

أولا: مفهوم الكتابة الحائطية

ليس من السهل حصر مفهوم محدد وشامل في آن واحد لمصطلح الكتابات الحائطية أو الحائطية؛ وذلك تبعا لعدة عوامل:

نذكر منها حداثة الموضوع من حيث اهتمام الدارسين وكذا انعدام الارصدة المعرفية من قبل، لذا سنحاول جاهدين صياغة بعض ما توفر لنا من معلومات تخص مصطلح الكتابات الحائطية والذي يعتبر بحسب رأينا المتواضع، موضوعا شائكا وصعب التحليل لكنه يستحق المحاولة.

لغة:

تسمى بالكتابات الحائطية أو الحائطية؛ وهي ترجمة عربية لكلمة "**Graffiti**" ، التي ترجمت أول مرة إلى اللغة العربية من قبل الباحث" **خليل أحمد الخليل** في كتابه "**مبنى الأسطورة**" عام 1979م، ومنذ ذلك الوقت شاع استعمال هذا المصطلح في اللغة العربية.

غير أن هذا المفهوم المستحدث لهذه اللفظة، قد ظهر في إيطاليا وهو يدل على الرسوم والكتابات المخططة بالفحم أو المنقوشة على الأثار القديمة، وكذلك على البنايات المعاصرة [1].

فكلمة غرافتي في اللغات الأوروبية، تشير إلى أي نوع من الرسم والنقش، أو الكتابة على الجدران، والتي تتراوح بين نقش بسيط ولوحة فنية معقدة، وهي بالإيطالية مشتقة من كلمة "غرافياتو**graffiato** " ، التي تعني خدش أو خمش، أو حك سطحا، أما ترجمة الكلمة اليونانية غرافين هي يكتب، أما حاليا فتستخدم في الكثير من لغات العالم بمعنى، الرسم أو الكتابة على الجدران.

[1] الإخراج، إشراف علي و وساط ،عبد القادر.(2002م)، موسوعة المعارف الحديثة. دط ، الرباط –المغرب- منشورات عكاظ أوزو.ص41

وعرفت في معجم المصطلحات الفنية: "على أنها كل تصوير جداري بارز، وكل تسجيل أو رسم هزلي أو كاريكاتوري مدون على الجدران" [1].

ونجد لفظي تاغ TAG، وغراف GRAPH ملازمين لكلمة غرافتي، حيث تعني تاغ: الخصوصية والأثر والإمضاء، وامتلاك فضاء معين، وهذا التعبير يرتبط بالشارع وهو رافض للعنف، ويشكل رسما ملونا ذا أهداف فنية تزيينيه، أما كلمة غراف: تعني النمط أو الكتابة أو الرسم، وكلاهما ممارسة شبابية ذات خصوصية متفردة وذلك بحكم مضامينها الخاصة وبحكم عدم الاعتراف بها من قبل السلطة ولها مضمون اجتماعي مرتبط بجوهر ثقافة الشارع [2].

اصطلاحا:

لقد استخدم مصطلح "Graffiti" أول مرة من قبل الباحث "L'abbe Garruci" سنة 1856م في مؤلفه " Manual graffiti de Pompéi" [3] ويدل هذا المصطلح على كل أنواع التدوينات: كالتصوير الجداري، النقش أو الحفر، والرسم... وما إلى ذلك، ويتم على كل أنواع الواجهات والدعائم طبعا داخل المدن وعلى طول أسندة الارصفة وعلى بوابات ورشات العمل والمؤسسات وأسوار المصانع ...

أما "معجم أكسفورد" فيعرف الكتابات الحائطية على أنها:" الرسم أو الكتابة على الجدران أو الاسطح مهما اختلفت صيغها وأشكالها وأمكنتها"، في حين أن المعجم العربي طبعا والغني بمفرداته يرى بأنها:" حصيلة الضمير اللغوي البشري الذي يخزن في الذاكرة الانسانية، وهي

[1] Afifi,B.D ,(1921), Dictionnaire des termes d'art : Français –Anglais- Arabe. 2 ème édition .Lebanon :Dar Al Arabie.p97

[2] الزيدي ،المنجي، ثقافة الشارع: دراسة سوسيو ثقافية في مضامين ثقافة الشباب. دط ، تونس: مركز النشر الجامعي،2007،ص28

[3] Chalfant H. & Martha, C. Subway Art (1984). Edition Thames and Hudson.p33.

حصيلة تفاعل الفرد مع اللغة ومفردات الحياة" [1]،وفي بحثنا عن مفهوم شامل لمصطلح الكتابات الحائطية صادفتنا العديد من المفاهيم التي ترمي بأبعادها إلى هذا المصطلح ومنها مرادفتي:

Le Graff & le tag وغيرها من العبارات والسيما في اللغة الفرنسية. ويترجم الدكتور" سهيل إدريس" كلمة "graffiti" بأنها: " كل نقش أثري أو خربشات تمارس على الجدران أو الابواب.." [2]

ولأن الرسم على الجدران كان الوسيلة الأولى للكتابة في التاريخ البشري، فإن كل ما نعرفه عن تفاصيل حياة الشعوب والامم السابقة إنما مرده إلى الرسوم والرموز التي وجدت منقوشة على جدران الكهوف والمعابد والمقابر أو البيوت القديمة لذلك أطلق عليها اسم "مدونات الماضي"، بينما الكلمة "graffiti" فيعود الحديث عنها إلى منتصف الستينات؛ عندما استخدمت بخاخات الاصباغ في الكتابة والرسم على الجدران وسمي حينذاك "الفن الرذاذ" نسبة إلى علب الدهن أو الصبغ الرذاذ التي ساعدت كثيرا على نشأة هذا التيار الفني أو شبه الفني كما يراه البعض.

أما في علم الاثار فإن الكتابات الحائطية إنما: "تدل على كل ما وجد مدونا على الجدران، يحكي قصص شعوب خلت ويصنف ضمن الاثار التاريخية لشعب ما، لذلك اصطلح عليها ب " مدونات الماضي" [3].

وخلاصة القول:

إنه من الصعب جدا الالمام أو الاتفاق على تعريف واحد يعطي للكتابات الحائطية حق البحث والتوضيح، فهذا المصطلح يشير في مجمله إلى نمط خاص من التيبوغرافيا وهو كل

[1] بن منظور، الافريقي. لسان العرب، دار الصادر، مجلد 4، بيروت1968،ص407
[2] سهيل ادريس،المنهل فرنسي- عربي .دارالاداب للنشر والتوزيع. بيروت،2004 ط.33،ص86
[3] Milon, A.(1999). L'étranger dans la ville. Du Rap au Graff mural. Paris : col. Sociologie d'aujourd'hui. PUF.25.

محاولة للرسم أو تدوين العبارات، الكلمات، الرموز، الأشكال أو الامضاءات أو حتى محاولة نقشها بمعنى حفرها داخل ذلك السطح؛ مهما اختلف هذا الاخير سواء كان جدارا إسمنتيا أو واجهة زجاجية، أعمدة الكهرباء، أرصفة الممرات أو حواف ودعائم المحلات التجارية، جذوع الاشجار وغيرها من الاسطح التي تتناسب ورغبة ممارسي ومجسدي هذه الكتابات الحائطية.

وقد اتسع مفهوم الكتابات الحائطية ، فلم يبق محصو ار في عملية الكتابة وإنما اتخذ كل الاشكال الممكن بها إيصال رسالة هؤلاء الكتاب الجداريين، هذه الرسالة تجسد عبر أرقام، أشكال، رموز مبهمة أو مقروءة، وقد ذهب البعض من الباحثين في هذا المجال إلى اعتبارها كنوع من الثقافات المضادة للمجتمعات؛ وهي بذلك تأخذ بعدا سلبيا وتعتبر كنمط تخريبي للمنشآت الحضرية، في حين يرى فيها البعض نوعا من الثقافات الهامشية التي تمارسها بعض الجماعات خارج الاطار الثقافي الرسمي الذي يطبع ذلك المجتمع، وفي هذا السياق يرى الباحث" أندرسون1990 " أنها" ظاهرة عامة تشمل المجتمع الانساني كافة، وأن كل مدينة عبر التاريخ والحضارات قد صنعت أمجادها ودونت علاماتها وكتبت ورسمت على الجدران ثقافة كانت سائدة حينذاك سواء لأفراد أو لجماعات..."، بمعنى أن هذه الكتابات قد شملت كل المجتمعات على حسب الثقافات والمعتقدات التي كانت حينها سائدة.

لكن الجدير بالذكر هنا هو أن تلك المجتمعات دونت فعال أشكالا ورموزا وعبارات ترمي بأبعادها إلى ثقافات تلك الامم، بيد أنها لم تدون الحقب الزمنية، وهنا يكمن الدور المهم المنوط برجال التنقيب وعلماء الاثار؛ إنها مهمة التأريخ جد مكتوبا ومرسوما على الجدران، إن الكتابات الحائطية كما ترى "دونيز بيلودو Bilodeau Denise (" 1993): "لديها لغتها الخاصة، وهي تستلزم استخدام رموز وشفرات وتحمل المعاني التي يقصد أصحابها إيصالها، ولا شيء وجد من العدم؛ وعليه فإن فهم الكتابات الحائطية يستلزم فهم وفك لغز تلك الرموز

والشفرات التي تؤكد مدى ارتباطها بالجماعة التي ينتمون إليها– أي الكتاب – بعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم..." [1]

وتقصد" بيلودو" هنا أن هذه الكتابات الحائطية مهما كان شكلها فإنها تحمل في طياتها مضامين كثيرة كتبها أصحابها بغية إيصال رسائل معينة لأشخاص أو لجماعات معينة، أو ربما لمجتمع بأكمله، ولفهم معنى تلك المضامين يتوجب فك طلاسم وشفرات ما كتب، وحسب رأينا المتواضع طبعا فإن للكتابات الحائطية مضامين رمزية ليس من السهل الكشف عنها، رغم أنها تبدو جد سطحية لأول وهلة، وإنما تحتاج إلى التحليل لأن كتابتها عادة ينتمون إلى تلك الجماعة التي يودون إسماع أصواتهم و أفكارهم ولكن بطريقة مختلفة نوعا ما، ونعتقد أن هذا هو صلب الموضوع؛ لأن تلك الافكار غيرالمصرح بها علنا من قبل شريحة ما ربما لاحقا هي التي تكون قاعدة التيارات المعارضة للأنظمة، أو ستسهم بشكل أو بآخر في بعض محاولات قلب الأنظمة.

إن كتاب "الغرافيتي" هم شريحة مثلما يرى فيها الدكتور" مصطفى حجازي" [2] "الشريحة المقهورة" ، التي لم تنل من المجتمع إلا الفتات، تلك الشريحة و لأسباب ما ترى نفسها مهمشة بطريقة مقصودة من قبل السلطات وحتى عامة الناس لذلك تلجأ إلى هذا الاسلوب – الكتابة على الجدران– أو غيره من الاساليب الاخرى لتقول لكل فرد من المجتمع " نحن هنا...و متواجدون باستمرار..."، وتضيف "بيلودو":" إن الكتابات الحائطية هي تعبير عن الثقافة الحضرية، وهي كثيرا ما تنتشر لدى الشباب، لكنها أيضا متواجدة أو ممارسة من قبل غالبية الطبقات الاجتماعية، بل وفي كل البلدان..."

[1] Bilodeau, D. (1990). Les murs de la ville. Les graffitis de Montréal. Montréal liber. p30.
[2] حجازي، مصطفى،2001 ، التخلف الاجتماعي" مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور". ط.8 المركز الثقافي. العربي الدار البيضاء- المغرب. ص165

وإذا تمعنا في المفهوم نجد أن الكاتبة تربط وبشكل مباشر نشوء وتواجد الكتابات الحائطية في الاوساط الحضرية وهذا ما نلمحه جيدا حينما تطور ت الكتابات في العصر الراهن أين نجد غالبيتها تمارس داخل المدن حيث الكثافة السكانية المرتفعة، وحيث تكثر المطالبة بالحقوق في خضم هضمها وتناسي العديد منها، لذا فإن الكتابات الحائطية هي حوصلة صراع الحياة الحضرية، ويمارسها الشباب أكثر من أي شريحة أخرى.

بعض مرادفات مصطلح الكتابات الحائطية " graffities Les ":

خلال بحثنا هذا حول ظاهرة الكتابات الحائطية، وطبعا في الغياب الكلي للمراجع باللغة العربية استندنا في عملية جمع المعلومات النظرية إلى المراجع باللغة الفرنسية، وقد صادفتنا عدة مرادفات تستعمل للدلالة على المعنى العام للكتابات الحائطية، غير أنها تعتبر عند بعض المختصين كتقنيات أو أساليب لهذه الممارسة بشكل عام، وسنحاول عرض البعض منها بشكل موجز :

الترذيذ BombageLe: نسبة إلى كلمة الرذاذ أو المضخة Bombe La وهي قارورات دهن أو طلاء، ويعتقد أن هذا المصطلح قديم نوعا ما وفي طريقه إلى الزوال، ويقصد به التدوين الذي يمارس بنوع من العنف، وعادة ما يستعمل لمهاجمة شخصية اجتماعية أو سياسية [1].

التاق Le tag: وتستعمل هذه الكلمة في نطاق جد ضيق، ويقصد بها التدوين البسيط للإمضاءات، وتتميز بتكرار أو تغيير في بعض أجزاء تلك الامضاءات، كاتبوا هذه الامضاءات يحددون جيدا الحيز المكاني كما ينتقون وبدقة نوع الخط الذي يودون الكتابة به تبعا لنوعية السطح الذي ستدون عليه تلك الامضاءات – سواء كان إسمنتيا، زجاجيا، أملسا أو غير ذلك

[1] Marconot, J. M. &autres(1995). Le langage des murs; du graff au graffiti : les presses du langue. p08.

ويمتاز نمط" التاق" بخلوه من الاخطاء الاملائية أو من إضافة أي خربشات أخرى؛ فيشمل الامضاء فقط.

العربسة Arabesque:

لغويا يمكن القول إن هذا النمط هو استلهام عربي أصيل لكلمة "عربسة"، ويعني به فن الزخرفة العربي العريق وهو "التوريق" أو "الرقش"، وقد أخذت الكلمة من الأصل العربي "عربسة"، وهي مجموعة خطوط متعرجة ومتداخلة تمثل أشكالا هندسية وزهورا وأوراقا وثمارا تصاغ في قالب فني رائع لزخرفة المساجد والقصور والقباب، وقد ظهر هذا الفن نتيجة امتزاج الحضارة العربية وتطورها في العصر الاسلامي الذهبي مع حضارات الشعوب الاخرى إلى أنه كان جليا لدى الاندلسيين الذين طوروه بشكل كبير، وقد انتشر في اوروبا والقى رواجا في القرنين 15و16 وسمي هذا الفن الزخرفي الاسلامي باسم " Arabesque"بالفرنسية وبالإسبانية "Ataurique " أي التوريق؛ للدلالة على حرية اللعب بالحروف ـ كما يود بعض الكتاب الجداريين قول ذلك ـ ويقصد به الحرية المطلقة في تمديد خطوط الكتابة، وقد كان هذا النمط الزخرفي يرمي في معناه الاصلي إلى أولى أنواع الخطوط الكتابية العريقة، لكن غيرت أبعاده و أصبحت أهدافه منحصرة في إرضاء رغبات الكتّاب الجداريين ومحاولة إيصال رسائل معينة [1].

: Le lettrage

ويستخدم هذا المصطلح عند بعض الرسامين أو الفنانين، ويحتاج إلى واجهات جد واسعة، بحيث يحمل في معانيه جملة من الرسائل المحددة والموجزة، كما يعتبره البعض أولى بدايات الفن الكتابي الجداري.

تأخذ معنى التصوير الجداري الذي يتم بالدهن أو الطلاء لكن بمضامين لغوية، يعتمد هذا النوع على الاستعمال الدقيق والموسع للألوان ويفضل تجسيده على الواجهات الملساء،

[1]Rudel, J.(1995). Technique de la peinture : collection PUF. p31.

ويسمى هذا النوع بالإيطالية "Fresco "وهو المصطلح الانسب من حيث استعماله للدلالة على تدوينات كتابه بواسطة الدهن سواء على الواجهات الحائطية أو الزجاجية [1].

إن الكتابات الحائطية مهما اختلفت ترجمتها ما بين لغات العالم، إلا أنها في مجملها ترمي إلى ذلك النوع الفريد والمتميز من مختلف التدوينات على الواجهات الحضرية، والتي تحمل في طياتها رسائل رمزية موجهة لكل أفراد المجتمع، يأمل ممارسوها أن تحلل وتترجم معانيها.

ثانيا: نشأة الكتابات الحائطية

إن تاريخ الكتابات الحائطية يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث تشمل هذه الكتابات المجال الإنساني كافة فكان الإنساني البدائي يعبر عن انفعالاته وأفكاره ومحاكاته للطبيعة من خلال النقوش والرسوم على الجدران والكهوف والمغارات أو الألواح والحجارة مستعملا أداوت بسيطة بدائية في محتواها نحو حائط كهوف لاسكو الفرنسية التي تعود إلى 16500 سنة خلت إلى تدوينها على الألواح والرسم الحجري [2].

وكذا كهوف التاسيلي في الجزائر التي اكتشفت في عام 1938 من قبل الرحالة الفرنسي بريان بينما كان يجتازالحدود الجزائرية الليبية، حيث وجد مجموعة من الصور والنقوش العجيبة التي احتوتها الكهوف من رسومات وصور لمجموعة من البشر يرتدون ملابس رواد الفضاء، ولوحات لسفن الفضاء ، ولوحات لطائرات غريبة الشكل وبشر كأنهم يسبحون في الفضاء يلبسون ملابس شفافة غريبة داخل مدينة ضخمة شديدة التطور ورسوم لأناس يرعون البقر وسط مروج كثيفة وحدائق مخضرة، ورجال ونساء يرتدون ثيابا حديثة مثل التي نرتدها في العصر الحديث،

[1] Rudel, J.(1995). Opcit,page. p32-33.

[2] نورة عامر، دراسة التصورات الاجتماعية للكتابات الجدارية في المجتمع الجزائري دراسة ميدانية ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر في علم النفس وعلم التربية جامعة الإخوة منتوري-، قسنطينة،2006-2005 ،ص107

وصور الحيوانات البرية وصور لبعض الآلهة القديمة، فقد قام الرحالة هنري لوت ومجموعة كبيرة من العلماء في عام 1956 بزيارة الكهوف والتقطوا لها صورا فوتوغرافية عديدة للبحث والدراسة و التحليل لمعرفة عمر تلك النقوش التي قدر عمر ها بأكثر من 3000سنة [1].

حيث تركت تلك الكهوف ونقشوها من علامات الاستفهام والدهشة ليطلق عليها علماء الآثار اسم " لغز كهوف التاسيلي".

أما الاكتشافات الأثرية الجغرافية العربية لكتابات الحائطية ظهرت لأول مرة في بلاد الرافدين وفي مصر حوالي 3000 سنة قبل الميلاد قبل أن تنتقل إلى أوروبا خلال العصرين اليوناني والروماني [2].

في حين تعد الحضارة المصرية الفرعونية من أهم الحضارات التي يبحث العلماء في آثارها الحائطية والمكتوبة التي وجدت في الضفتين الشرقية والغربية لنهر النيل والتي وجدت على صخور التلال وجوانب الوديان المحيطة وسميت برسوم الصيد أو الرسوم الصخرية التي كانت تمثل مناظر الصيد والأدوات المستعملة فيه وكذا رسوم أهل القرى الذين استقروا على ضفاف نهر النيل الذين استنفذوا على أسطح الفخار و الأواني الطينية ثم جدران المقابر بعد ذلك التي كانت تصور مناظر من الحياة اليومية للز راع ومن أول المناطق التي عثر فيها على هذا النوع من الرسوم منطقة الكوم الأحمر من عصر من قبل الأسرات، واستخدمت الألوان للتميز بين الرجل والسيدة، حيث رسم الرجل باللون الأحمر والسيدة باللون الأصفر، اتخذ المصريون القدماء النقش والرسم على المعابد والمقابر ليظل النقش باقي حتى العالم الآخر حيث كان التصوير يقتصر في المقابر على طعام الميت وشرابه في مساحات مرسومة ضئيلة ثم وسعت تلك المساحات باستخدامهم العديد من الطرق والمواد [3].

[1] أحمد عبد الحليم، كهوف الطاسيلي أقد لغز بشري عمره ثلاثون ألف عام، مجلة دنيا الوطن، د ع، (15 أكتوبر 2010):ص2
[2] محمد جعفر حسين، الكتابة على الجدران بين الفن والسياسة"، مجلة الحوار الممتدة، ع:36،2008 ص10- 16
[3] سحر شمس الدين محمود، "فن التصوير الجدران في مصر الفرعونية وأثره على تصميم الجداريات الفنية الزجاجية"، مجلة العمارة والفنون، الجيزة،ع8 ،ص282

ومنه فإن المصريون القدماء اعتمدوا على الكتابات التصويرية المتمثلة في النقش والرسم على الجدر ان لتسجيل أحداث حياتهم اليومية.

أما عند الغرب اكتشفت الكتابات الحائطية عند الرومان منذ أكثر من 200 سنة، فعبروا بالرسوم والرموز والكتابات عن الواقع الذي عاشه الإنسان أنداك، وكان المسافرون الإغريق ينقشون الحروف الأولى لأسمائهم على الأهرامات المصرية وعلى بعد الكيلومترات من وادي النيلفي الجهات الوسطى والجنوبية من القارة الأمريكية مهد الحضارات المايا والأزتيك والأكيا، اكتشفت أثار أخرى شبيهة بالآثار السابقة، وفي بريطانيا ظهرت علامات وآثار أولت على أنها رموز لعبادة شمسية تعود إلى عصر البرونز أي إلى حوالي 1500 سنة قبل الميلاد، وفي روما يوجد أكبر معرض للنقوش الأثرية في العالم حيث يقارب العدد الإجمالي لها بـ، 750.000 الذي يندرج معظمها ضمن رسوم الفن المقدس التي أنجزها المسيحيون الأوائل في معابدهم لتكتسب هذه النقوش قيمة جعلتها شاهدة تاريخية [1].

وعليه فإن بداية الكتابات الحائطية تعود إلى العصر الحجري القديم، أي منذ وجود الإنساني البدائي الأول الذي عبر عن حياته بالنقش والرسم والرمز ناقلا فيها حضرات الشعوب القديمة كالحضارة الفرعونية والرومانية وغيرها التي امتدت جذورها إلى عصرنا الحالي.

الكتابات الحائطية في العصر الحديث:

إن الكتابة على الجدران أو ما يطلق عليها اسم الغرافيتي **graffiti**فن حديث ذو جدور تعود إلى عصور القدم، حيث عرف الإنسان الكتابة الحائطية بداية من الجبال والكهوف، فنقش

[1]بثينة جعيل، "الكتابات الحائطية ودلالات الحذف لدى تلاميذ المرحلة الثانوية دراسة ميدانية ببعض ثانويات دائرة مفسرة مذكرة تخرج مقدمة لنلي شهادة ماستر في علم الاجتماع ،جامعة ميلة ،2015-2016 ص39.

وكتب وخربش على وسائط مختلفة مما جعلها تنحدر من النقوش الأثرية حسب آلان ميلون **Alan Million**[1].

يعتبر القرن العشرين وبالضبط في تاريخ 1928 نقطة نوعية في الكتابة الحائطية تقلتها إلى الدراسة على يد الباحث اللغوي الأمريكي **read walker Allen** الذي قام بتحليل المفردات اللغوية الإنجليزية المرسومة على جدران المراحيض بغرب الولايات، مشيرا إلى أن الكتابات الحائطية في الأماكن العامة تشكل شكلا من أشكال العلوم الفلكلورية، وموضوع بحث يبحث من قبل علماء البحث اللغوي، ويعتبرها مصادر لغوية لهجيه تعكس استخدام الفرد البسيط لتراثه المحلي وتوظيف اللهجة العامية للتعبير عن مفردات أقواله الخاصة لتصبح مصادر فلكلورية جديرة بالدراسة [2].

عرف فن الكتابات الحائطية **graffiti** انتشارا واسعا في مرحلة الربيع العربي مرحلة انتقالية في تاريخ بعض الدول العربية نحو سوريا، ليبيا، تونس، مصر، اليمن، وغيرها، حيث خرج الشعب عن صمته وعبر عن رغباته رافضا سياسة التثبت بالكراسي والنظام القمعي من الأنظمة السياسية تحت شعار الشعب يريد إسقاط النظام ليؤكد فن الكتابات الحائطية المعاصرة القدرة في التعبير عن قضايا الوطن ومواكبة التطورات الحاصلة فيه حيث أصبح الفرد في الخطاب الجداري صانعا لقراراته رافضا للسياسة الدكتاتورية ليتخذ من الجدار وسيلة للتعبير عن آراء ومعاناة المواطن في مختلف جوانب حياة الاجتماعية والسياسية والثقافية[3].

يتبين من خلال هذا أن الكتابات الحائطية ظهرت في الوطن العربي تزامنا مع الثورات العربية التي سميت بالربيع العربي كرد فعل على الأنظمة السياسية الحاكمة.

---

[1] عبد اللي سناء، الكتابات الجدارية من المركزية إلى الهامشية، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين، البحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة 2 بسكرة، الجزائر ،ع 11، 2018، ص133

[2] عبد اللي سناء، المرجع سابق،(سنة 2018): ص3

[3] سارة كسيبي وعلي بخوش، الغرافيتي ممارسات ودلالات، مجلة جماليات، مج ،08 ع،02 ص133

قام الفنانون بتنفيذ الأعمال الحائطية بأساليب تثير الإعجاب وتلفت انتباه الجمهور، وتسجيل أسمائهم على الأعمال بغرض الاعتراف بموهبتهم، وجعل لها مكانة قيمة ذات أهمية في المجتمع بطرحهم لمواضيع معقدة مستنبطة من الواقع المعاش، مستخدمين في كتاباتهم ورسوماتهم أدوات جديدة نحو أداة الرش وثلاثي الأبعاد [1].

ومنه فإن الفنانون الجداريون يقومون بهذه الكتابات الحائطية لغرض عرض آرائهم الفنية أو السياسية في الأماكن العامة.

ثالثا: الكتابات الحائطية في الجزائر

شهدت الجزائر على غرار بقية الدول العربية موجة الكتابات الحائطية التي راحت تكسي غالبية جدران أحيائها، والتي انتشر ت بشكل مكثف في العاصمة وضواحيها، وكذا بقية المدن الكبرى ك وهران وقسنطينة، عنابة، سطيف، تيزي وزو وغيرها من الواليات، حيث الكثافة السكانية مرتفعة وجملة العوامل الاقتصادية والسياسية متفاقمة، وهي في الجزائر شأنها شأن بقية دول العالم، تنتشر في أزقة الأحياء الفقيرة والشعبية منها على وجه الخصوص، وكي نلم بها أكثر فإننا وفي مجمل ما توفر لنا من معلومات سنحاول ذكرها خلال مراحلها الكرونولوجية:

3-1 الكتابة الحائطية في الجزائر ما بين الماضي والحاضر:

إن الكتابات الحائطية في الجزائر بغض النظر عن عصور ما قبل التاريخ، فإنها ارتبطت وبشكل مباشر بجملة الاحداث والظروف التي كانت سائدة، وإن كانت بدايتها خلال فترة الاستعمار، إذ اتخذت في ذلك الوقت طابعا رياضيا تبعا للتنافس الذي كان بين الاندية الرياضية، والذي امتد إلى تنافس بين الأنصار في الشوارع والاحياء، حيث يخلد كل طرف

[1] ميسم مزهر عبود، ومالك حميد محسن، التحولات الفكرية للتشكيل الغرافيتي وتمثيلاتها في نتاجات طلبة التربية الفنية، مجلة دراسات تربوية العدد 56، 2021، ص184

النتائج التي حققها فريقه خاصة مع بروز " الاندية المسلمة " بداية بنادي "مولودية الجزائر" الذي تأسس ليلة المولد النبوي الشريف عام 1921م وقد اشتق اسمه من تلك الليلة، وكان يدعمه عرب وبربر العاصمة الذين دونوا على الجدران نتائجه الساحقة التي قهر بها الاندية الاوروبية، وكانت تلك الكتابات تذكيرا لخصومهم بتفوقهم، وقد فسر المؤرخون ذلك التصرف على أنه فعل وطني كان يعبر عن التمييز والاعتزاز بالذات وبالقدرة على قهر من استعمر البلاد لمدة عقود وحكمها بالحديد والنار وأذل أهلها وسلب خيراتها، كما كانت أسماء الملاكمين الجزائريين الذين تفوقوا على الاوروبيين تملأ الجدران والاماكن العمومية لتذكير الاوربيين بهزائمهم، وحين بدأت الاحزاب الوطنية الجزائرية تشارك في الانتخابات البرلمانية المحلية التي كانت تنظمها سلطات الاحتلال، غدت الكتابة على الجدران وسيلة تعبئة شعبية إما للمشاركة في العملية الانتخابية أو لمقاطعتها، وهذا يعني أن الكتابات الحائطية كانت ملازمة للأحداث السياسية آنذاك، حيث كانت أول من أخبر الجزائري ين باندلاع الثورة المسلحة بعد تزوير الادارة الاستعمارية نتائج الانتخابات العامة التي جرت عام 1947م وفازت بها الاحزاب الوطنية على الاحزاب الفرنسية، وبعدها برزت كتابات مجهولة المصدر تشير إلى عدم جدوى العمل السياسي وحتمية تغيير التعامل مع الفرنسيين، و " أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة" [1].

وتزامنا مع اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954م انتشرت الكتابات في كل المدن التي أخذت طابعا تعبيريا عنها، وكذلك طابعا إعلاميا عن انطلاقها، فظهرت هذه الكتابات بعبارات عديدة منها "اسم جبهة التحرير الوطني" وكذلك "الجزائر مسلمة" كرد فعل على عبارة " الجزائر فرنسية

وبتطور الثورة التحريرية وحجب جميع الصحف التي كانت تصدر بأقلام جزائرية؛ تحولت جدران المدن إلى مساحات إعلامية يكتبها أطفال صغار حملوا قضية كبيرة وأرهقوا الادارة الفرنسية بتصرفهم هذا وبعنادهم، فخصصت فرقا كاملة لملاحقتهم ومحو ما يكتبونه يوميا، كما

[1] محمد جعفر حسين، مرجع سابق

خصصت جوائز لمن يلقي القبض عليهم وسجنت عددا كبيرا من الاطفال لمجرد الاشتباه بهم واكتشاف لون الطلاء على أيديهم بتهمة الانتماء إلى "كتاب الجدران" حيث كانت وقتها جنحة يعاقب عليها القانون الفرنسي بالسجن، لكن هذه المكافحة ليست بدافع الحفاظ على رونق المدن والطراز المعماري كما أرينا ذلك في الدول الغربية حاليا وإنما بتهمة تأليب الناس على الحكم و الاخلال بالنظام العام، واعتبارها محرضا ومشجعا للثوار على الاستمرار في ثورتهم، وفي هذه النقطة إنما نلمح الجانب أو الطابع الثوري والسياسي الذي لعبته الكتابات الحائطية وبشكل إيجابي لصالح الدولة وحرية الوطن، وهو الشيء الذي لمسناه حاليا في تناولنا للكتابات الحائطية في فلسطين والعراق وأفغانستان.

ومع انتهاج الثوار للكتابات الحائطية وسيلة إثبات وتحد أصبح الفرنسيون بدورهم يكتبون مواقفهم المعارضة لسياسة الجنرال "شارل ديغول" حيال الجزائر، والتي كانت تتجه نحو التفاوض مع الثوار؛ فانتشرت الكتابات الحائطية المعارضة للمفاوضات واستفتاء تقرير المصير، ثم برزت كتابات بعبارات: "نعم" و "لا" على الجدران كإعلام للمواطنين الذين كان معظمهم أميين، فجاءت لتسهيل عملية الانتخاب باختيار كلمة "نعم " للتصويت على استفتاء تقرير المصير.

وهكذا لعبت الكتابات الحائطية دورا مهما في حركية الثورة التحريرية، حتى قادها الشعب المغوار إلى الحرية والنصر على المستعمر الفرنسي، وكانت هذه لمحة عنها خلال فترة الاستعمار.

3-2 الكتابات الحائطية بعد الاستقلال وخلال عشريتي الإرهاب:

بانتهاء الحرب التحريرية انتهت الكتابات الحائطية في المدن الجزائرية، لأنها كانت تخدم الثورة فقط ولم يعد لها حاجة بعد الاستقلال فتلاشت ولم يبق منها الا الشيء القليل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الكتابات الحائطية ليست واحدة من طقوس وعادات الشعب الجزائري، فغابت الكتابات قدرا من الزمن ثم عاودت البروز من جديد، وتلك حقبة أخرى من تاريخ الجزائر

هي فترة عاشت فيها جملة من الاضطرابات في أواخر الثمانينات ما بين التيارات والاحزاب السياسية المعارضة لبعضها البعض، فكانت مجسدة لهذا التضارب حيث حملت عبارات سياسية، وبعد أحداث العنف التي وقعت في أكتوبر 1988م التي عمت كل مناطق القطر الجزائري ضد سياسة النظام القائم مما أدى إلى تغيير الدستور واعلان التعددية السياسية وإعطاء حرية الصحافة، فبرزت الكتابات الحائطية من جديد بعبارات مطالبة برحيل رجال السلطة الحاكمة آنذاك، وكانت تحمل دلالات علمانية وإسلامية وتؤكد في مجملها على فساد النظام السابق وعدم أهليته لقيادة الدولة والبلاد، وبعد أول انتخابات محلية في البالد في 12 جويلية 1990 م والتي أسفرت عن الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ الاسلامية، عبر أتباعها عن فرحتهم بعبارات مثل "**بلدية إسلامية**" التي كتبت عشرات المرات في البلديات و الدوائر التي أعطتهم أغلبية الأصوات.

وبعد اعتقال قيادي جبهة الانقاذ في جويلية 1991 م والتي كانت تمثل أكبر القوى السياسية، ظهرت الكتابات الحائطية بشكل عنيف في معظم المدن تطالب بالإفراج عنهم، وإن كانت تبدو في معظمها منظمة، حيث تكررت العبارات نفسها في معظم المدن مثل: " **إما الانفراج أو الانفجار**"، وهو تهديد باستخدام العنف في حالة عدم إذعان السلطة للضغوط وإفراجها عن القيادة المحبوسة، كما ظهرت عبارات التشجيع مثل: "**يا علي يا عباس الجبهة دائما لا باس**" في إشارة إلى السيد "**علي بلحاج**" والدكتور الراحل "**عباسي مدني**" أكبر قيادي الانقاذ نفوذا وشعبية، كما ظهرت رموز للحزب نفسه باللغة الاجنبية في كل مكان "**Fis**"، وفي شتاء العام نفسه ومعارضة لحزب الانقاذ برزت كتابات حائطية أخرى مطالبة بتطبيق النظام العسكري الذي كان في ذلك الوقت بقيادة رئيس الجمهورية " الشاذلي بن جديد" لردع هذا الحزب وايقاف نشاطه، ومن بينها كتابة: "**لا إيران ثانية في الجزائر**" وكذلك: " **أوقفوا زحف الفاشية** " ، و " **أنقذوا الديموقراطية**" [1].

[1] عطاء، صالح، عندما تتكلم الجدران. د ط، مجلة اليوم السابع، باريس، 1989،ص22

وقبل شهر من يوم الاقتراع صرح الرئيس بأنه على استعداد الاستنساخ التجربة الفرنسية – الرئيس فرنسوا ميتران يساري والبرلمان والحكومة يمينيان ،– وهذا فقط لطمأنة أنصار جبهة الانقاذ الخائفين من أن تكون نتيجة الانتخابات نقمة عليهم، فرد عليه الشارع بالكتابات الحائطية التي وصفته بالجاهل الذي يلعب بالنار، ثم بعدها برزت العديد من الكتابات المتزامنة مع موجة الارهاب التي لم تسلم منها أي مدينة من المدن الجزائرية، وظهرت عبارة مدونة بالخط العريض " **أنقذوا الجزائر**" ، ورغم حظر التجوال المفروض إلا أنه كانت هناك مجموعات من الشباب تخرج ليال وتكتب عبارات التهديد والوعيد التي تندد برئاسة اليمين زروال للبالد وبتنظيمه للانتخابات الرئاسية في 1995م فكتب هؤلاء " **يا زروال يا طاغوت ستموت ستموت...** " وغيرها.

وفي هذه الفترة التي ارتفعت فيها موجة الارهاب حيث بلغ نشاطه ذروته من تقتيل وذبح للمواطنين الحد الذي يكفي للتعبير عن حقدهم، وراحت المجموعات الارهابية تتفنن في التنكيل بالضحايا وجثثهم من قطع الرؤوس وتعليقها على مداخل المدن بغية زرع الرعب والهلع في نفوس المواطنين، وضمن جملة التمثيلات التي عاشها المواطن الجزائري ما حدث في "**حوش جرو**" بمنطقة بوفاريك، حيث هاجمت مجموعة إرهابية أكواخ فقيرة فقتلت حوالي 13 شخصا دفعة واحدة معظمهم من الاطفال والنساء، ووقعت جريمتها بدم الضحايا على الجدار، فكتبت اسم "**الجماعة الاسلامية المسلحة السنية السلفية الموحدة**"، وكانت المرة الاولى التي تظهر فيها الكتابة الحائطية بالدم البشري، وهي نقلة غير مسبوقة ثم أصبحت فيما بعد أمرا اعتياديا، كما عرفت الجزائر موجة من المشادات وأحداث الشغب المدنية مثلما حدث عام 2001م في مواجهات بين قوات الدرك الوطني لمنطقة القبائل وبين السكان، وبالضبط في بلدية بني دواله حيث قتل شاب برصاص جندي وكانت إصابته بليغة فتعذر نقله لشدة المواجهات وقبل لفظ أنفاسه، كتب في المكان الذي سقط فيه بدمه على الجدار عبارة :" **Liberté La Vive** " **تحيا**

الحرية" ، وكانت هذه الواقعة التي اهتز لها الشارع الجزائري مرة ثانية، حيث برزت الكتابات الحائطية بهذا النمط بعد عشرية الإرهاب .

لقد حاولنا فيما سبق أن نستعرض أهم النقاط التي برزت فيها الكتابات الحائطية، مع ذكر ظروفها التي أدت إلى ظهورها، وإن كانت العشرية الدموية التي عاشتها الجزائر أكثر تميزا عن مثيلاتها في الدول والأخرى [1].

وما يمكننا استخلاصه أن الكتابات الحائطية في الجزائر، إنما ظهرت خلال فترة الاحتلال فجاءت كأداة للتعبير والتوعية وطلب الوحدة لأجل الحرية والنضال، ثم غابت بعد ذلك نهائيا ولم يعد لها أثر، لكن وبمجرد الانقلابات السياسية والاحداث العنيفة التي عرفتها الجزائر، عادت وبشكل عنيف جدا وحملت في سماتها أبعاد العنف والمأساة التي عاشها الشارع فكتبت بدم ضحايا الارهاب، ثم بعد الهدوء النسبي عاودت الظهور بسبب أحداث الشغب والمواجهات القبلية التي عاشتها البالد، وخصوصا في المناطق القبائلية (أحداث العروش).

رابعا: أسباب ظهور الكتابة الحائطية

إن الكتابات الحائطية في غالب الأحيان لا تكون كتابات عبثية وإنما يكون وراءها أسباب ودافع تتمثل فيما يلي[2]:

1- الأسباب النفسية: هي كافة الأسباب التي تتحكم بالحالة النفسية للفرد، وتعتبر أهم الأسباب التي تدفع للكتابة على الجدران، وتعتمد بشكل مباشرة على الانفعالات المرتبطة بالبيئة المحيطة بالفرد، فتعرضه لانفعال يؤثر على حالته النفسية كالتعرض للانتقاد، أو

[1] الالكتروني: جريدة القبس. (22-11-2008م). الرسم على جدران الشوارع يشجع على مخالفة النظام العام. العدد . الموقع http://www.alqabas.com.kw/ArticlePrint.aspx?id=450181&mode=doc12746

[2] سعيد كاظم راشد، وعدي علي كاظم، دور التربية الفنية في منهجيّ الكتابات غير المنظمة على الجدران لدى طلاب المرحلة المتوسطة في محافظة بابل، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28،العدد9، ،2020،ص183

الغضب يساهم في تحفيزه للكتابة على الجدران من أجل التخلص من شعور الضيق الذي يعاني منه، وتؤثر هذه الانفعالات على الأفراد في مرحلة الشباب لذلك يلجأ العديد منهم للكتابة على الجدران لتعبير عن مشاعرهم وتوصيل أفكارهم الخاصة للآخرين.

2- الأسباب الاجتماعية: تعد من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى ظاهرة انتشار الكتابة على الجدران، إذ ترتبط بتأثير العوامل الاجتماعية على شخصية الفرد الذي يكتب على الجدران ومن أهم هذه العوامل التقليد فعند مشاهدة شخص يكتب على جدار ما فيعتبر هذا الأسلوب من المحفزات التي تدفع الفرد إلى تقليده في الكتابة على الجدران.

3- الأسباب اللاإرادية: هي كل الأسباب التي يتحكم بها العقل الباطن في الإنسان وتدفعه للقيام بتصرفات غير قادرة على التحكم بها، فتعتبر الكتابة على الجدران من أحد هذه التصرفات والتي تنتج عن شعور عدائي كمحاولة تخريب الممتلكات العامة أو الخاصة، أو ترتبط بسلوك هجومي مثل: كتابة الشتائم أو استخدام صفات سيئة لوصف شخصية إنسان ما.

4- الدعاية والإعلان: تتمثل في الأسباب العامة والغير المرتبطة بشخصيات الأفراد، وترتبط بالكتابة على الجدران خصوصا في الأماكن العامة التي توجد فيها مجموعة كبيرة من الأفراد والهدف من هذه الكتابة الاعتماد على أسلوب التشويق غير المباشر عبر جذب الآخرين لقراءة الكلمات المكتوبة في الإعلانات الموجودة على الجدران.

بما أن الكتابات الحائطية ظاهرة إنسانية يقوم الفرد بممارستها للتعبير عن رغباته وعما يجول بداخله من أفكار ومشاعر وللإفصاح بها فعليه تعددت الأسباب وراء ظهور هذه الظاهرة والتي تخص الظروف والثقافة والسياسة والمجتمع.

خامسا: أهم أماكن الكتابة الحائطية

أما عن أهم أماكن الكتابات الحائطية، فقد بينت العديد من الدراسات والأبحاث العلاقة بين الكتابات العامة والأماكن التي تكتب فيها، فبقدر ما تكون الكتابة عامة غير متطرقة للمعاني

الممنوعة أي خلو الرسالة من المضامين الجنسية، بقدر ما تكون قريبة من الإطار الجغرافي للحي أو المدينة أو المؤسسات التعليمية التي يعيش فيها الكاتب، وبقدر احتوائها على المضمون السابق بقدر ما يبتعد عن الحي أو المدينة، على حد تعبير روبرت رسنر. فالكتاب الجداريون يختارون الفضاءات المناسبة بدقة [1].

وتتعدد أماكن الكتابات الحائطية، وتظهر في فضاءات مختلفة عامة كانت أو خاصة، وللتوضيح أكثر نذكر أهمها فيما يلي:

الشوارع والأحياء:

وعادة ما تظهر من خلال رسوم عشوائية، وكتابات متداخلة، وذات مستوى رديء، تعبر غالبا عن لغة، وثقافة أحياءها الشعبية، وبنوعية محيطها الحضري، بأبعاده الجماعية والهندسية [2].

المراحيض العمومية:

تقول إحدى الجمعيات والتي تدعى جمعية المراحيض البريطانية أنه يمكن معرفة الوجه الحقيقي لكل بلد، من خلال الكتابات الموجودة على جدران المراحيض العمومية، فهي تعبر عما يختلج في نفوس الكثير من الناس الذين يخجلون أو يخافون من قولها خارجا، فلو تطرقنا للكتابات الحائطية الموجودة في البلدان الشرقية فإنه غالبا ما تنتشر الكتابات الحائطية السياسية (المضادة للحكومة)، أما المراحيض الغربية تكتب عليها كلمات نابية وهي تعبر عن نوع من الثقافة المنشرة لدى بعض الناس [3].

والملاحظ أن أغلب المراحيض سواء كانت داخل المؤسسات التعليمية، وحتى الجامعية منها، والمراحيض في المحطات والطرق العمومية، فهي تمتلئ بالعبارات الجنسية والرسومات البذيئة

[1] مركز فلسطيني للأعلام، مرجع سابق
[2] الزيدي، مرجع سابق،ص30
[3] الجمري، (17أفريل1999م) ، جمعية المراحيض البريطانية . يومية الوسط ، العدد61، http://www.alwasatnews.com/1/news/read/716131/1.html

وأرقام الهواتف، حيث تكشف الحياة المكبوتة والسرية في مجتمعاتنا، كأنها مساحة حرية يتخلص فيها الفرد من رقابة القيم والآخرين، ليعبر في هذا المكان عن مكبوتات وهواجسه وأحلامه، كما تكثر فيها الشتائم، وأحيانا نجد عبارات النصح والاستنكار التي تدعو إلى ترك هذه الأمور لأنها غير مفيدة وتصف كاتبها بأبشع الأوصاف.

المؤسسات التعليمية:

لم تسلم حتى المؤسسات التعليمية من الكتابات الحائطية ، حيث لجأ لها البعض ليجعلها فضائه المناسب ليعبر من خلاله ، فنلاحظ أن أكثر العبارات المكتوبة في المدارس الابتدائية والمتوسطة، على الجدران أو على المقاعد تخص أسماء الطلاب المكتوبة بخط كبير جعلوها كذكرى، كما نجد أن بعض الكتابات أصبحت وسيلة تصارع بين الطلاب، مثل عبارة "عصابة الكف الأسود تكسر راس الكل"، وقد يتخذ منها البعض وسيلة للشتم، وكتابة بعض الألفاظ النابية التي لم يسلم منها حتى الأساتذة، إذا انتقلت إلى المدارس الثانوية ترى عبارات الحب والغزل و مقاطع من الأشعار، و كلمات أغنيات تملأ الجدران و المقاعد، ولا تختلف كثيراً جدران الجامعة أو مقاعدها عن هذا الشيء حيث نجد مقاطع من أغنيات شبابية عربية أو أجنبية، و أشعار مكتوبة على الجدران و ذكريات لحب ضائع أو شتيمة لدكتور أو تعليق على فتاة أو كتابة لجزء من المقرر.

في غرف الشباب:

وهو نوع خاص جدا، وربما لا يكون منتشرا، حيث تظهر رسوم الغرافيتي على جدران غرف الشباب المنخرطة في ثقافة "الهيب– هوب" وهي رسوم تعكس انتماء هؤلاء الشباب لهذه الثقافة، وتمثل عادة علامة مميزة لمجموعة معينة، أو لشخصية معينة، ويجسد الشباب هذه الرسوم

والتي يستوحونها، من أعمال فنية عالمية مشهورة، عادة ما يطلعون عليها من مواقع الواب" الخاصة على شبكات الأنترنيت، أو المجلات المختصة في هذا النوع من الفنون" [1].

سادسا:الكتابات الحائطية في الوسط الجامعي:

الكتابات الحائطية في الوسط الجامعي هي شكل من أشكال التعبير البصري المكتوب التي يستخدمها الطلاب للتعبير عن أراءهم، مشاعرهم، وقضاياهم المختلفة داخل الحرم الجامعي.

تعتبر هذه الكتابات مساحة للتنفس النفسي والاجتماعي حيث يمكن للطلاب التنفيس عن الضغوط والتوترات التي يوجهونها في بيئة أكاديمية، واجتماعية قد تكون أحيانا صارمة أو محدودة.

6-1 وسيلة للتعبير الشخصي والجماعي:

– الكتابات الحائطية تتيح للطلاب فرصة التعبير عن مشاعرهم وأراءهم بشكل مفتوح وغير مقيد.– يمكن أن تعبر عن قضايا شخصية، مثل الضغوط الأكاديمي ة والنفسية، أو قضايا جماعية تتعلق بالحياة الجامعية والسياسية والاجتماعية.

6-2 مساحة للتنفيس النفسي:

– تشكل الكتابات الحائطية منفذ للتنفيس عن التوتر، والضغط النفسي الذي قد يتعرض له الطلاب. – تساعد على تخفيف الشعور بالعزلة من خلال التعبير عن المشاعر والبحث عن الدعم من الاقران.

[1] الزيدي، مرجع سابق، ص130

6-3 منبر للتواصل الاجتماعي:

- توفر الكتابات الحائطية وسيلة للتواصل بين الطلاب حيث يمكنهم مشاركة تجاربهم وأكارهم مع الاخرين.

- تساهم في بناء شبكات دعم اجتماعية داخل الحرم الجامعي.

6-4 أداة للتمرد والاحتجاج:

- تستخدم الكتابات الحائطية كوسيلة للاحتجاج ضد السياسات الجامعية أو الاجتماعية التي يعتبرها الطلاب غير عادلة.

- تمثل شكلا من أشكالا لتمرد السلمي والتعبير عن المطالب والحقوق.

6-5 فضاء للإبداع والهوية الثقافية:

- تعتبر الكتابات الحائطية وسيلة للإبداع الفني والثقافي، حيث يمكن للطلاب التعبير عن هوياتهم وثقافاتهم المتنوعة.

- تعزز الشعور بالانتماء الى مجموعات ثقافية أو اجتماعية معينة.

ومنه فالكتابات الحائطية في الوسط الجامعي تعرف بأنها مساحة مفتوحة للتعبير والتواصل بين الطلاب، تشكل منفذا للتنفيس النفسي والاجتماعي، وتتيح لهم التعبير عن مشاعرهم وأراءهم بحرية.

تعزز هذه الكتابات الشعور بالانتماء الجماعي وتوفر وسيلة للتفاعل الاجتماعي، كما تستخدم كأداة للاحتجاج والابداع الثقافي، مما يجعلها جزءا أساسيا من حياة الطلاب داخل الحرم الجامعي.

سابعا:أشكال الكتابة الحائطية

لكل مدون أسلوب خاص به في تدوين الكتابات على الجدران مهما كان ميله وأصله يميزه ذلك عن الآخرين على مر السنين لتتنوع أشكال الكتابات الحائطية تتمثل في [1]:

الشخبطة البسيطة، أو التعليق أو التوقيع، أو الرسوم المعقدة الفريدة التي تكون غالبا ما تحتوي على البخاخ أو الأقلام الملونة أو القوالب المفرغة، أو أدوات الدهانات أو الأدوات الحادة كأدوات الحفر نحو المفاتيح والسكاكين لتأتي الكتابة على الجدران متعددة الأشكال ولا تأتي على شكل واحد أو تكون من خلال صورة واحدة فقط، لتكون هذه الكتابة على شكل: كتابة عادية عفوية تكتب بخط اليد تلقائي وسريع وهذا الشكل أكثر الكتابات، أو تكون من قبل خطاط محترف يكتبها بخط جميل يجذب الآخرين ويلفت انتباهه ويستعمل هذا الشكل أكثر في الدعاية و الإعلانات و تكون من خلال طريق الرذاذ و البخاخ أو من خلال القوالب المفرغة والتي شاع استخدامها كثيرا مؤخرا نظرا لسهولتها وسرعتها خاصة عندما تكون الكتابة على نطاق واسع في مساحات كبيرة من الجدران، الصالح وكما قد تكون الكتابة على شكل نقش على الجدار بأدوات حادة و هذا الشكل عادة ما يكون قليلا وغير منتشر بصورة كبيرة لعدم توفر أدوات الكتابة ليستخدم المدون ألة حادة يحفر بها على الجدران على أنها أفضل وسيلة لتبقى فترة أطول و يصعب طمسها.

أو تكون هذه الكتابات على شكل رموز مفهومة أو غير مفهومة، لتمثل هذه الرموز المفهومة أكثر نماذج الكتابة على الجدران انتشارا لاتصافها بالبساطة والتلقائية في حين الرموز الغير مفهومة تكون بصورة أقل مصاحبة للصور أو الرسوم وغالبا لا يمكن فهمها لأنها بمثابة شفرات أو أكواد معينة تستخدم بين المدونين ذات دلالات معينة بينهم.

كما أنها تأتي على شكل رسومات تعبر عن أشخاص معنيين أو أحداث جارية وتكون هذه الرسومات من قبل رسامين متخصصون بهدف توصيل رسالة معينة في المجتمع.

[1] عبد الحبيب جمال رجب محمد، ظاهرة الكتابة على الجدران لدى طلاب جامعة الزهر دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية جامعة الأزهر، العدد 125 ،ج1، أكتوبر2015 ،ص29

ليلاحظ أن هذه الأشكال منها القديم ومنها الحديث حيث مازال ممارسو هذه الظاهرة يبتكرون أساليب حديثة، ويستحدثون وسائل جديدة للكتابة على الجدران تناسب العصر وتواكب مستحدثاته[1].

وبالتالي فإن أشكال الكتابات الجارية باختلافها تعد شكل من أشكال الاتصال ونوع من أشكال الفن التعبيري، التي بدأت بكلمات مكتوبة بسيطة ورسومات انتهت إلى لوحات حائطية متقنة على الجدران وهي موجودة منذ العصور القديمة حيث العصر الحديث، لتساعد تلك الأشكال التاريخية المدونة إلى الجدران في اكتساب فهم أنماط الحياة ولغات الثقافات السابقة الحاملة لدلالات مختلفة كما تحمله دلالات الكتابة على الجدران في العصر الحديث أو في مجتمع اليوم.

ثامنا:أهداف الكتابة الحائطية

بالاستناد إلى دراسة "**أيوبي يمينة**" و "**موسى سارة**" من أهم أهداف الكتابات الحائطية مايلي [2]:

– أن محرر الكتابات الحائطية يجد التعبير وشد الانتباه من خلال الإمضاءات أو التوقيعات المصاحبة للعمل الجداري.

– يبرز محرر الكتابات الحائطية تمثلات حول موضوع يلفت به عناية الجمهور قصد التأثير عليه.

[1] عبد الحبيب جمال رجب محمد، مرجع سابق، ص30

[2] **أيوبي يمينة وموساوي سارة، الغرافيتي كفن وسيلة اتصال ولاية مستغانم نموذجا ريبورتاج مصور لنيل شهادة ماستر في علوم الإعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.**

- يزيد انتباه الجمهور للكتابات الحائطية من خلال الاختيار الموفق للمدون مواضيع مباشرة في المجتمع كالبطالة والهجرة.

- ايصال اهتمامات شباب محرري الكتابات الحائطية لمتطلباتهم وحاجاتهم التي تتراوح بين الرسمية والثانوية داخل فضائهم الاجتماعي بالتعبير وإبداء الرأي والاستقراء والاندماج في المجتمع وتحقيق مكانة فيه.

- إن الكتابات الحائطية ليست مجرد خربشات على الجدران فحسب وإنما هي كتابات لا أهداف ذات أبعاد دلالية تخدم الفرد خاصة والمجتمع عامة.

تاسعا: مواضيع الكتابات الحائطية

لقد تزايدت الكتابات الحائطية مع ازدياد معاناة الأفراد، ومشكلاتهم المختلفة، وذلك ما جعل البعض يلجأ إلى الجدران ليعبر عن شكواه، ويكتب عليه مطالبه ومن أهم هذه المواضيع ما يلي :[1]

9-1 المواضيع السياسية:

تعتبر الكتابة على الجدران من الوسائل القادرة على نقل الفكر السياسي، لأن أفرادها يختارون التعبير عنها في الأماكن العامة، قصد التأثير على عدد كبير من الناس من خلال الاتصال

[1] جبار كنزة، اتجاهات الطلبة الجامعين نحو الكتابات الجدارية، دراسة ميدانية رسالة مكملة لنيل شهادة ماجستر، في علم النفس جامعة الحجا الخضر، باتنة،2014 ،ص67-69.

اللفظي البصري، ويعتبر الكثير من الباحثين الغربيين أن الكتابة على الجدران هي عمل سياسي، لابتعادها عن أشكال التعبير التقليدية المعتادة، كما أنها تمكن العالم من رؤية الواقع كما هو، وأحيانا تمثل دعاية سياسية لأحزاب أو حركات معادية للحكومة.

9-2 المواضيع الرياضية:

تظهر الكتابات الحائطية في هذه المواضيع الشغب والعنف في المجال الرياضي، فهي تحتوي على اسم فرق كرة القدم، وأسماء يظهر أنها لمناصرين مستعدين لفعل أي شيء بعيدا عن قوانين الرياضة وأخلاقيتها.

9-3 مواضيع العنف:

وهذه المواضيع كانت وبقوة في بدايات الغرافيتي من خلال منظمة أطلقت على نفسها اسم عصابات الغرافيتي**Gangs Graffiti**في نيويورك وفيلادلفيا وهم عادة مجموعات من الأقليات العرقية والإثنية من اليافعين الذين اتخذوا من الليل ستار ليمارسوا فوضاهم ويسجلوا سخطهم على الجدران ناشرين الرعب في كل مكان.

9-4 مواضيع حميمية:

وتعكس هذه المواضيع الرغبة في التعبير عن شعور إزاء حبيب مثلا، كما يمكن أن تتضمن كلاما نابيا أو سبا أو قذفا يتم عن حقد دفين أو رغبة في الانتقام.

9-5 مواضيع اجتماعية:

ظهرت هذه المواضيع مند فترات طويلة بوضوح على الجدران، وازدادت حدتها أكثر قبل الثورات العربية وبعدها مما جعلها تمثل مساحة كبيرة من كتابة الجدران أهمها: الإعلان عن مطالب اجتماعية عامة، تصوير حالة البطالة التي يعيشها الشباب، تجسيد مشكلة اجتماعية ملحة

يعاني منها الكثير، المطالبة بالحياة الكريمة للأفراد، المطالبة بتوفير الاحتياجات الضرورية لعامة الناس.

9-6 مواضيع شخصية:

عرفت هذه المواضيع اتساعا وتنوعا وذلك راجع إلى الدافع الشخصي والعامل النفسي للفرد مما جعله يلجأ إلى الجدار للتعبير عن شكواه، وعرض مشاكله، وتسجيل مطالبه، من خلال تفاقم معاناة الأفراد ومشكلاتهم المتنوعة، واحتياجاتهم المختلفة وعدم تلبيتها ومعالجة تلك المشكلات، ومن أمثلة تلك المواضيع: الإعلان عن مطلب خاص بالمدون وتصوير معاناة يعيشها، أو شكوى من عدم وجود عمل أو تجسيد فراغ يعاني منه، أو ضائقة مالية يمر بها أو كبت نفسي ناتج عن ضغوطات الحياة.

9-7 مواضيع دينية:

تكون هذه المواضيع بدافع الوازع الديني وبحسن نية فيدون الجدار بعبارات تأمر بمكارم الأخلاق وجميل الصفات وحسن العادات لطمس السلوكيات الخاطئة والتصرفات المرفوضة شرعا والأخلاق الغير مقبولة عرفا أو العادات السيئة والسبب في هذا التعصب الديني، لجماعة معينة، جماعة تدافع عن رأيها ومعتقدها.

9-8 مواضيع تعليمية:

تتمثل هذه المواضيع في التعبير عن الوضع التعليمي بعدم الرضا عليه عامة والاعتراض عليه في الجامعات خاصة، فيكون الطلاب المتعثرين دراسيا المصدر الأول في نشر هذه المواضيع على الجدران [1].

تختلف مواضيع الكتابات الحائطية بحسب الواقع الفعلي المعاش للمجتمع، فيكون الجدار الملجأ الوحيد للمدون للتعبير عن انفعالاته وعواطفه وكشفه عن جزء من نفسيته ومثل مجتمعه التي يكتب عنها بصفته فردا في المجتمع.

عاشرا: الأدوات المستخدمة في الكتابات الحائطية

تعددت أدوات الكتابة الحائطية، من الأصباغ والبخاخات المتخصصة في الغرافيتي، إلى مجموعة الأدوات التي يبتكرها ممارسو الغرافيتي أنفسهم، من خلط مجموعة مواد، وأصباغ للحصول على مزيج يستعملونه أثناء الرسم والكتابة على فضاءات وأسطح مختلفة، وسنذكر فيما يلي أهم هذه الأدوات والأصباغ الخاصة بممارسي الغرافيتي:

10-1الأصباغ:

وهي على أنواع، وأهمها الأصباغ البلاستيكية، (نفسها الأصباغ المائية)، حيث تستخدم في الكتابات الحائطية، إلا أنها قليلة المقاومة أمام عوامل الطبيعة، خاصة أشعة الشمس، أما ممارسو الغرافيتي يفضلون استخدام الأصباغ الإلكروليكية لأنها تصنع من مواد مقاومة للعوامل الطبيعية القاسية، مثل أصباغ السيارات [2].

[1] عبد الحسيب جمال رجب محمد، ظاهرة الكتابة على الجدران لدى الطلاب جامعة الأزهر دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع65 ،مج1،أكتوبر2015،ص28-29

[2] قديانلو، مهدي، (13 ديسمبر2013م)، الرسوم الجدارية تتحدث مع المخاطبين وجهاً لوجه. زيارة الموقع بتاريخ: 8 مارس،2024 على الموقع الإلكتروني:http://navideshahed.com/ar/index.php?Page=definition&UID=199472

10-2 أدوات الرش :

وقد ارتبطت هذه الأدوات ببروز ظاهرة الغرافيتي، حيث يستخدم الكُتَّاب الجداريين علب الرش أثناء الكتابة أو الرسم، ومن مميزات هذه التقنية، أنها تزال وتمسح بسهولة [1].

10-3الأستنسل :

وهي لوحة كارتونية مفرغة يتم رش الأسبراي من فوقها ليظهر الرسم على الجدار فور الانتهاء، وتكون عادة مصنوعة من الورق المقوى، أو البلاستيك، ويتم من خلالها تطبيق أشكال ورسوم مختلفة على أسطح الجدران وغيرها، من خلال رش الطلاء فوقها، وهي تباع إما بأشكال مسبقة أو يصممها هواة الغرافيتي[2].

خلاصة

في ختام هذا الفصل يتبين أن ظاهرة الكتابات الحائطية أو كما يطلق عليها المختصين بالغرافيتي، لها أبعاد جديدة ومختلفة عما كانت عليه، حيث أصبحت وسيلة وبديل سياسي يحرك الرأي العام، ويؤثر على شبابنا ، كما وتعتبر وسيلة اتصالية توضح معالم الشباب داخل المجتمع، فهذه الكتابات تترجم الكثير من معاناة الشباب، بدأ من ضيق حرية التعبير إلى، المشاكل الاجتماعية التي يعيش فيها المجتمع من بطالة، وفقر وتهميش، كما تعد مرآة لنفسية

[1]المركز الفلسطيني للإعلام، (2 ديسمبر2012 م) ، الكتابة الجدارية في التجربة والممارسة الإنسانية. زيارة الموقع بتاريخ2 : مارس ،2024على الموقع الإلكتروني: http://www.palestine-info.com/arabic/books/shearat/shear4.htm

[2]the free dictionary, Thousands of Quilting Stencils Notions , consulté le 11December 2012 , http://www.thefreedictionary.com/stencil

الأفراد داخل المجتمع، والدليل على ذلك اختلاف المواضيع التي تطرحها الجدران، من مكان إلى آخر، فالطابوهات و الممنوعات تظهر للعلن من خلالها، حتى وإن تحدثنا عن الطابع الفني فيها، من خلال رسومات فناني الغرافيتي أو جماعات الراب والهيب هوب، فهي كذلك تبعث برسائل قد تبدو غامضة، ولكن عند تحليلها يتبين أنها كباقي الخربشات الحائطية تنادي بالكثير من طموحات الشباب، إلا أنها تعبر في مجملها عن مضمون نفسي– اجتماعي، يحتم على الكثير من المختصين، أن يدرسوا مثل هذه الظاهرة في مجتمعاتنا العربية، وبخاصة في المجتمع الجزائري. هذا الأخير الذي يشهد على ظاهرة الكتابات الحائطية الممتدة عبر التاريخ من الطاسيلي، لحقبة الاستعمار، إلى الظروف الصعبة التي عاشتها الجزائر في العشرية السوداء إلى وقتنا الحالي الذي بات يطرح العديد من القضايا، التي وجدت الجدار المكان المناسب لطرحها.